ISSN = 2073-6614 pp330-364 | مجلة جامعة الانبار للغات والآداب

The Historical Urjuzah Poem of Ibn Abd Rabbo Al-Andalusi: A structural and Stylistic Study

الأرجوزة التاريخية لابن عبد ربه الأندلسي
دراسة في البنية والأسلوب

Ghaida Ahmed Saadoun
dr.ghaydaa@uomosul.edu.iq
College of Education for Women - University of Mosul

أ.م.د. غيداء أحمد سعدون
كلية التربية للبنات – جامعة الموصل

Received: 02-08-2022 Accepted:05-10-2022 Published: 30-12-2022

Doi: 10.37654/aujll.2022.177952

Abstract:

The research tackled the historical (Urjuzah poem) by Ibn Abd Rabbu Al-Andalusi in terms of its structure and literary style, which includes 445 verse in the forays of Al-Hakam Abdul Rahman Al-Nasir Caliph, as it did not have its share of literary study. The study included a preface on the definition of Ibn Abd Rabbu and his literature, and the concept of Urjuzah poem and its primacy among the Andalusians and what is attributed to Ibn Abd Rabbu Al-Andalusi, the author of "Al-Iqd Al-Fareed". Then, we investigated the artistic construction of the Urjuzah poem and Ibn Abd Rabbu's distinctive method in summarizing the events of twenty-two years in it. Moreover, we studied its style in terms of language, poetic image and rhythm. Finally, we concluded the research with results and recommendations for future studies.

Keywords: The historical (Urjuzah poem), Ibn Abd Rabbu Al-Andalusi, structure, literary style.

الملخص :

تضمن البحث دراسة (الأُرجوزة التاريخية) لابن عبد ربه الأندلسي من حيث بنيتها وأسلوبها الأدبي، والتي تتضمن 445 بيتًا في مغازي الخليفة الحكم عبد الرحمن الناصر (ت350هـ)، إذ لم تنل حظها من الدراسة الأدبية سابقًا.

وشملت الدراسة توطئة تطرقنا فيها إلى التعريف بابن عبد ربه وأدبه، وإلى مفهوم الأرجوزة وأولويتها عند الأندلسيين وما ينسب إلى ابن عبد ربه الأندلسي صاحب العقد منها.

ثم وقفنا عند بنية الأرجوزة وطريقة ابن عبد ربه المميزة بتلخيص أحداث اثنتين وعشرين سنة فيها وفق مونتاج مميز، بعدها تناولنا دراسة أسلوبها من حيث مفرداتها اللغوية وصياغة صورها الشعرية وإيقاعها، ثم ختمنا البحث بنتائج وتوصيات لدراسات مستقبلية تتعلق بالموضوع.

الكلمات المفتاحية: الأرجوزة التاريخية، ابن عبد ربه، الأندلسي، البنية، الأسلوب

توطئة:

سبق أن وقفتُ عند شعر ابن عبد ربه الأندلسي ببضعة دراسات منشورة([1]) وجدت من خلالها أنّ أرجوزته التاريخية لم تُدرس من الناحية الأدبية، مما دعاني إلى الوقوف عندها بهذا البحث، وقبل الولوج إلى أدبية أرجوزة ابن عبد ربه التاريخية أود أن أقف عند ما يمهد لهذا الموضوع، مثل:

1- نبذة من حياة وأدب ابن عبد ربه الأندلسي صاحب كتاب العقد الفريد:

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير بن سالم القرطبي، الذي اشتهر بابن عبد ربه الأندلسي، ولِدَ في قرطبة سنة (246هـ) ونشأ بها وتثقف بثقافة عصرهِ من فقهٍ وتفسيرٍ وحديثٍ ونحوٍ وعروضٍ وتاريخٍ وأدبٍ فضلاً عن العلوم التطبيقية، وقد عاصر العديد من الخلفاء والحكام والقادة ومدحهم، وتوفي سنة (328هـ) وله اثنتان وثمانون سنة وثمانية أيام ودُفِنَ يوم الاثنين في مَقبَرَةِ بني العَباس [(2)].

---

(1) هي: (التجديد الأسلوبي في الخطاب الشعري عند ابن عبد ربه الأندلسي (246-328هـ)- الممحصات أنموذجًا): بحث مشترك مع د. مازن الخيرو ، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع74، لسنة 2018م؛ و(الإقناع بنبذ صفات مجتمعية في شعر ابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ)):بحث مشترك مع إسراء جمال خليل، مجلة سرّ من رأى، مج16، ع65، س15، 2020م؛ و(الخطاب الإقناعي في شعر الغزل عند ابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ)): بحث مشترك مع إسراء جمال خليل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية بجامعة الموصل، مج16، ع3، لسنة 2020م.

([2]) ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: للحميدي (ت488هـ)،101-104 ؛ وينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس(ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي): للضبي (ت599هـ)،139 -141؛ وينظر: شعر ابن عبد ربه الأندلسي: تح: د. محمد أديب جمران، مقدمة

وقد نظم ابن عبد ربه في موضوعات الشعر المختلفة مثل: الوصف والغزل ونقد المجتمع والخمر والرثاء والهجاء والشيب والشباب والمديح، ومع أنّ غزله لم يكن ماجنًا في شبابه لكنه ولورعه في شيخوخته محّص ما نظمه من ذلك الغزل بأشعار في التوبة على الوزن والقافية ذاتها سمّاها بالممحصات وكان مجددًا فيها.

كما أنّ لابن عبد ربه اهتمامًا بذكر الأراجيز ونظمها مثل الأرجوزة العروضية، والأرجوزة التاريخية التي نحن بصدد دراستها هنا، وهي التي مَدَحَ بها الخليفة الحكم عبد الرحمن الناصر الذي امتد حكمه من (300–350هـ)، وقد ذكرها في (العقد الفريد) ضمن حديثه عن الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي كان مبهورًا به، ومفضلاً إياه على كل من سواه، فقال بأنها: ((الأرجوزة التي نظمتها في مغازيه كلها من سنة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وأوقفناها))([3])، ولكنها في الحقيقة لا تمثل مغازي هذا الخليفة كلها حسبما ادعى ابن عبد ربه، وإنما للخليفة مغازٍ قبل توليه الخلافة لم يذكرها، كما تلتها مغازٍ أخرى سكت عنها ابن عبد ربه أيضًا رغم أنه عاشَ في أيام الناصر ثمانية وعشرين عاماً لم يتوقف فيها عن الإنتاج حتى آخر عمرهِ، وهي أكثر فترات حياتهِ التي عنِيَ فيها بالشعرِ واهتم بهِ([4]).

2- الأندلسيون أول من نظم الأراجيز التاريخية:

استفزتني معلومة وأنا أستمع إلى محاضرة للمؤرخ الدكتور عبد الرحمن علي الحجي رحمه الله ذكر فيها – وهو يتحدث عن إبداع الأندلسيين – بأنه لا يعرف في غير الأندلس من نظم الأراجيز التاريخية قبل الأندلسيين وأولهم الشاعر يحيى بن حكم الغزال، إذ له أرجوزة تاريخية طويلة تشمل الأحداث من أول فتح الأندلس إلى زمنه لكنها مفقودة([5]) ، ولكنه لم يشر إلى مصدر يؤكد هذه المعلومة.

وحين بحثت في الموضوع وجدت أنّ باحثين غيره أكدوا ذلك مثل: آنخل جنثالث بالنثيا([6])، والكاتب محمد خليفة التونسي([7])، وتابعه في ذلك الدكتور محمد صالح

المحقق19– 43 .

([3]) العقد الفريد، ج5/ 217.

([4]) ينظر: شعر ابن عبد ربه، 329–331.

([5]) ينظر: محاضرته في اليوتيوب بعنوان (الشعر الأندلسي وفنونه) الدقيقة 24 وما يليها.

([6]) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي، 56.

([7]) ينظر: (الغزال)، مجلة العربي، ع212، رجب 1396هـ–يوليو 1976م، 132–133.

البنداق([8])، وقد أشار إلى ذلك أيضًا الدكتور خالد عبد الكريم حمود البكر المتخصص في التأريخ الأندلسي بجامعة الملك سعود، والذي تواصلت معه وبعث لي كتابه في التاريخ مشكورًا (الأراجيز التاريخية الأندلسية– دراسة وتقييم–)([9]). ولا نستبعد أن يكون ابن عبد ربه الأندلسي الذي عاش من (246– 328هـ) قد تأثر بأرجوزة الغزال المتوفى (سنة 250 هـ) وسار على نهجه فيها وجدد؛ إذ اقتصر في أرجوزته على وصف غزوات ممدوحه فقط عامًا بعد عام، وبهذا تبرز أهمية دراسة الأرجوزة التاريخية لابن عبد ربه في بنيتها وأسلوبها الأدبيين كونها من أوائل الأراجيز التاريخية في الأندلس والأدب العربي عامة.

3– أراجيز تنسب خطأً إلى ابن عبد ربه الأندلسي صاحب (العقد الفريد):

ونحن بصدد دراسة الأرجوزة التاريخية لابن عبد ربه تجدر الإشارة إلى أنّ هناك أدباء آخرين اشتهروا باسم (ابن عبد ربه) أيضًا، أشهرهم ابن أخيه الطبيب والمتمرس بالعلوم التطبيقية الذي له أرجوزة في الطب يتوهم بعضهم أنها لابن عبد ربه صاحب العقد، وحفيده الذي يشير عدد من الباحثين إلى أنه هو من يعد أول من كتب الموشح وليس جده صاحب العقد، فضلاً عن ترجيح نسبة الأرجوزة التاريخية الأخرى المفقودة له أو لغيره([10]).

4– مفهوم الأرجوزة:

واشج ابن منظور(ت711هـ) بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للرجز بقوله: ((الرجز: أن تضطرب رجلُ البعير أو فخذاهُ إذا أراد القيام أو ثار ساعةً ثم تنبسط ... ومِنهُ سُميَ الرَّجَز من الشعر لتقارب أجزائهِ وقِلة حروفه ... وَقَد اختُلِفَ فيه فَزَعَمَ قومٌ أنه ليس بِشِعر وأنَّ مجازهُ مجازَ السَجع، وهو عِندَ الخليل شِعرٌ صحيحٌ))([11]).

وابن رشيق القيرواني(ت456هـ) من النقاد الذين تحدثوا عن الرجز والقصيد فذكر أنّ القصيد مطلق على كل الرجز، وليس الرجز مطلقاً على كل القصيد، كما ذكر بأنّ الأرجوزة تسمى قصيدة ولا تسمى القصيدة أرجوزة([12]).

وقد ورد المفهوم ذاته في تعريف الأرجوزة في معاجم المصطلحات من حيث إن الأرجوزة في

([8]) ينظر: يحيى بن الحكم الغزال، 27–29.

([9]) ينظر: الأراجيز التاريخية الأندلسية– دراسة وتقييم، 18– 21.

([10]) ينظر: ابن عبد ربه وعقده: د. جبرائيل جبور، 84–95، 194–201.

([11]) لسان العرب، (مادة رجز).

([12]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ج184/1.

الأدب العربي هي القصيدة مِن بَحرِ الرجز الذي هو أحد البُحور التي ابتكرها الخليلُ ابن احمد (100 – 70هـ) والذي يُبنَى على (مُستَفعِلُن) ستَ مرات ثلاث في كلِ شَطر , وقد يتكون من أربع فقط اثنتين في كلِ شطرٍ فيُسَمى مجزوءًا [13].

وفصّلَ جبّور عبد النور في إيضاح مفهوم الأرجوزة إذ ذكر بأنها تختلف عن سائر القصائد في وجوهٍ منها: بناء كل بيت في الغالب على قافية واحدة صدراً وعجزاً، ثم بناء البيت الذي يليه على قافية أخرى في صَدرهِ وعَجزِهِ، وهكذا إلى آخر القصيدة، والسماح للناظم بأن يُعَلِق قافية بيت بما بعده فيما يسمى بـ(التضمين)([14]).

وأكثر ما تستخدم الأراجيز في الشعر التعليمي الذي تنظم به العلوم وقواعد اللغة وتوثيق الأحداث التاريخية لسهولة النظم على هذه الطريقة التي تأتي ارتجالاً غالبًا ولكثرة الجوازات في بحر الرجز وعدم توحيد القوافي، ومنها الأرجوزة النحوية الأندلسية المشهورة بألفية ابن مالك (ت672هـ)، وسبقتها الأرجوزة التاريخية لابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ) التي تعد من أقدم ما وصل إلينا من الأراجيز من بلاد الأندلس.

الأرجوزة التاريخية لابن عبد ربه بنيتها وأسلوبها:

إنّ أي أثر أدبي يتألف من عنصرين هما (البِنية أو التركيب) وهذا يهتم بالنظام العام لفكرة أو لأفكار عدة مرتبطة بعضها ببعض لتكوين الكل، والعنصر الآخر (أسلوب النسج أو السبك) بشكل يميز أديبًا عن آخر ونصًا عن آخر، ويراد به الصدى الصوتي لكلمات الأثر الأدبي وتتابع المحسنات اللفظية والصور المجازية والمعاني التي توحي إلى العقل من مدلولات الكلمات المستعملة([15])، وهذان العنصران هما محورا دراستنا للأرجوزة التاريخية لابن عبد ربه التي عدّها بعض النقاد المحدثين ملحمة أدبية(16)، وأشار عدد منهم إشارة سريعة إليها غير راضين عنها من الناحية الأدبية مثل الدكتور جبرائيل جبّور الذي لم يعدّها من الشعر في شيء وإنما هي تاريخ منظوم، لكنه تراجع في حكمه عليها في صفحات أخرى معجبًا بفنها الأدبي([17])، والدكتور أحمد هيكل الذي قال عنها: ((ليس فيها من عناصر الشعر شيء، ومن الإنصاف للشاعر والشعر أن تعد

([13]) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، 24.

(14) المعجم الأدبي، 14.

(15) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،96.

(16) ينظر: شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 334(هامش 2).

(17) ينظر: ابن عبد ربه وعقده، 165، 39، 175.

في نتاجه التاريخي لا في تراثه الفني))[18]، كما أيد ذلك الدكتور أحمد أمين[19]، في حين رد عليهما الدكتور عبد الرحمن مطلك الجبوري بقوله: ((الذي ينعم النظر في الأرجوزة يجد بوضوح عناصر الشاعرية والفنية والخيال على السواء، وإن كانت كما قالا (أشبه بالمنظومات التاريخية) إلا أنّ هذا لا يعني تجردها من الفن وعنصر الخيال))[20]، ونحن نوافقه الرأي في أدبيتها مقتدين بقول أرسطو الذي فرّق بين المؤرخ والشاعر بقوله: ((أحدهم يتحدث عن ما حدث، والآخر يتحدث عن ما ربّما حدث، وعليه **فالشعر أكثر تفلسفًا وأهمية من التاريخ**))[21]، فأرسطو يفضل الشاعر على المؤرخ لأنه يعلم كيف يتعامل مع المتلقي في عرض الحدث التاريخي؛ حيث يعرضه بشكل شمولي وحسبما يريد نقله موظِّفًا الأساليب التي تجذب المتلقي وتعلمه في الوقت ذاته، وتخلّد ذكر الأحداث التاريخية عن طريق سهولة حفظها شعرًا وتقبلها من المتلقي بفضل عناصر الإثارة التي يوظفها الشاعر من خلال اختياره للألفاظ والتعابير وعرض الأحداث بصور شعرية فضلاً عن الإيقاع الموسيقي الخارجي والداخلي للنص الشعري الذي يجذب المتلقي ويحفزه على متابعة التلقي للنص الأدبي التاريخي، وأول ما يستوقفنا منها:

- **فن تنظيم وبنية الأرجوزة التاريخية لابن عبد ربه:**

كما تعودنا من ابن عبد ربه الأندلسي حسن تنظيمه وسبكه وابتكاره في كتابه الموسوعي الضخم (العقد الفريد) نجده يبرع أيضًا في تنظيم بناء أرجوزته التاريخية التي يسرد فيها أحداث غزوات اثنتين وعشرين سنة لم يذكر أو يشر إلى أنه نظمها بشكل متكاملٍ في وقت قصير بعد انتهائها أو نظمها في حينها حسب زمن وقوع الأحداث، ولنتفحصها بالتدريج تفحصًا فنيًا:

- **المقدمة ومواءمتها للغرض:**

ونقصد بها ما يسبق الغرض الأساس الذي يبتغيه الشاعر، وهناك العديد من المصطلحات المقاربة لمصطلح مقدمة القصيدة وقد وضحنا مفهوم كل منها في بحث سابق[22].

---

(18) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، 232.

(19) ظهر الإسلام، ج3/ 560.

(20) ابن عبد ربه الأندلسي في الميزان،10.

(21) Poet.1451a38–1451b10 (فلسفة أرسطو: كريستفور شيلدز، ترجمة: علي الحارس، عن النت موقع: أرسطو موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة علي الحارس، 54–55).

(22) ينظر: مقدمة القصيدة والمصطلحات المقاربة لها دراسة مفهوماتية نقدية أ.م.د. غيداء أحمد سعدون، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية بجامعة الموصل، عدد خاص بأبحاث المؤتمر

وقد لاقت مقدمات القصائد اهتمامًا متميزًا من النقاد العرب القدامى والمحدثين، واتخذت مقدمة القصيدة الجاهلية مثالاً يحتذى به في العصور التالية والتي كانت تبدأ بالوقوف على الإطلال أو بالنسيب أو ذكر الطبيعة أو الشيب والشباب ثم وصف الرحلة بتعبها ومشاقها يليها التخلص إلى الغرض الأساس كالمديح وغيره.

وقد سار الشاعر الأندلسي على خطى الشعراء المشارقة في بنية مدائحهم، ولكنه كان مجددًا أحيانًا في مقدمات قصائده بموضوعات أخرى مناسبة للغرض الأساس أو متجاوزًا عنها ومبتدئًا مباشرة في الموضوع الأساس لقصائده، وبخاصة تلك التي يصف فيها معارك وانتصارات الممدوح[23].

وانتهج ابن عبد ربه الأندلسي المعروف بجودة فرشه أو بدئه للموضوعات في أرجوزته التاريخية هذا النهج؛ حيث قدّم لذكر مغازي ممدوحه بمقدمة يذكر فيها عظمة الله وتنزهه عن خلقه وإعلاء شأنه على الخلائق، وأنه مالك السماوات والأرض، وإنه لم تحوه الأقطار لكن أيقنت العقول بوجوده، وكل ذلك ببنية متسلسلة الإقناع وأسلوب فني مميز بقولهِ[24]:

سُبحانَ مَن لم تَحوِهِ أَقطارُ ولم تكن تُدركُهُ الأَبصارُ

وَمن عَنتْ لوجهه الوُجـوهُ فمـــــا له نِدٌّ ولا شبيهُ

سِبحانَه مِن خالقٍ قديـــرِ وعالمٍ بخلقهِ بَصيـــــرِ

وأَولٌ ليس له ابتـــــــداءُ وآخرٌ ليس له انتهـــاءُ

أَوسَعنـــــا إِحسانُه وفضلُهُ وعَزَّ أَن يكونَ شيءٌ مثلُهُ

وجَلَّ أَن تُدركَهُ العُـــيونُ أَو يَحوياهُ الوَهم والظُنونُ

لكنَّه يُدرَك بالقَريـــــــحَهْ والعَقلِ والأَبنيةِ الصَّحيحَـــهْ

العلمي الدولي الثالث (تكامل العلوم نحو تحقيق أهداف التعليم)، مج5، نيسان 2019، 2543 وما يليها.

(23) ينظر: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي(دراسة موضوعية فنية): د. هدى شوكت بهنام، 117– 118 ؛ وينظر: مقدمة المدحة الأندلسية بين ابن دراج القسطلي وابن حمديس الصقلي–دراسة موازنة: غيداء أحمد سعدون، (رسالة ماجستير)، 117–150 .

(24) شعر ابن عبد ربه ، 224.

وهذهِ مِن أَثبتِ المعـــارف في الأوجهِ الغامضَةِ اللطائف

مَعرفةُ العَقل مِن الإنســانِ أثبتُ من مَعرفةِ العيـــــانِ

فالحمدُ للهِ على نَعمـــــائِهِ حمداً جزيـــــلاً وعلى آلائهِ

فلم يبتدئ ابن عبد ربه أرجوزته بالأطلال مثل الشعراء القدامى، ولم يذكر مقدمة من المقدمات التي يتطير منها السمع مثل البكاء ووصف إقفار الديار ونعي الشباب وتشتت الأحبة وذم الزمان، وهذا ما ذمَه النقادُ العرب القدامى ببدء القصيدة به ، وإنما ابتدأها بما يراعى به مقتضى الحال؛ فالشاعر هنا هيأ الأسماع لذكر فتوحات ممدوحه وانتصاراته بذكر الله جلَّ وتعالى (سبحان من لم تحوهِ الأقطار) مالك السماوات والأرض الذي لا مثيل له في علاه والواجب حمده وشكره، مبرزًا فكره الديني وعقيدته الإسلامية، وهو الفقيه المعروف، ومبينًا فلسفته في أنّ ما تدركه العقول أفضل مما تدركه الأبصار، ممهدًا للانتقال إلى المدح.

- **التخلص إلى المديح:**

اهتم النقاد بالتخلص وحسنه وجماليته ((وهو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع مراعاة المناسبة))[25]، وقد تخلص ابن عبد ربه إلى المديح في البيت الحادي عشر وما بعده من الأرجوزة وذلك في قوله[26]:

وبعدَ حَمدِ الله والتَّمجيد وبعد شُكرِ المُبدئ المُعيدِ

أقول في أيام خير الناس ومن تحلى بالندى والباس

فنجد أنّ ابن عبد ربه هنا قد أحسن التخلص من الابتداء بما يشرح النفس بذكر الله تعالى وصولاً إلى موضوعه الأساس في المدح وذكر مغازي الممدوح، وقد قيل أنّ: ((حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح، ولطافة الخروج إلى المديح سبب ارتياح الممدوح))[27].

وقد وضع النقاد العرب القدامى شروطًا وحيلاً تساعد الشاعر وتحكمه في الانتقال بانسيابية إلى غرضه الأساس، وقد عرضتُ لهذا الموضوع في رسالتي للماجستير [28].

---

(25) النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: روز غريب، 123 .

(26) شعر ابن عبد ربه الأندلسي،334 .

(27) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن ابن رشيق القيرواني(ت456هـ) تح: محمد محي الدين عبد الحميد،ج217/1.

(28) ينظر: مقدمة المدحة الأندلسية بين ابن درّاج القسطلي وابن حمديس الصقلي–دراسة

وقد اهتم شعراء المديح الأندلسيون بحسن تخلصهم، وسلكوا مسالك عدة للتخلص الرقيق والانتقال الهادئ في قصائد المديح باستعمال أدوات الربط مثل: أن المخففة أو الثقيلة والكاف والواو والفاء وأساليب الشرط والقصر والاستفهام بانسيابية عفوية[29].

وشاعرنا هنا قد أحسن التخلص باستخدام (وبعد حمد الله..) الرابطة، مبتدئًا المديح بـ (أقول في أيام..) الذي يعد دخولاً وتهيئة للموضوع الأساس في الأبيات من(12– 39) والتي أنصفها الدكتور جبرائيل جبور _ رغم عدم رضاه عن أدبية الأرجوزة_ بقوله: ((لعل هذه الأبيات خير أبيات في المدح في أرجوزته))[30]، فذكر أنّ الغرض الأساس من قصيدته هو ذكر أيام خلافة ناصر الدين (عبد الرحمن الناصر) غير ذاكر لاسمه على وجه الحقيقة وإنما ذكر صفاته وعددها بقوله[31]:

أقول في أيام خير الناس ومن تحلى بالندى والباس
ومن أباد الكفر والنفاقـا وشردّ الفتنة والشقاقـــا

فوصف في هذين البيتين أمير المؤمنين بأوصافٍ ميّزته عن غيره وجعلته خير الناس لتحليه بالكرم والقوة والصمود أمام مختلف التحديات والجبهات التي واجهها والتي تلخص ما عرض له مفصلاً في الأرجوزة من وقوفه ضد: الكفار من جهة، المعادين للدين الإسلامي وفتوحاته، والمنافقين من جهة أخرى ممن يظهرون الصداقة ويبطنون له العداوة، فضلاً عن مواجهته للفتن والشقاقات الداخلية من الخارجين عن سلطته.

وبهذين البيتين يبرز حسن التخطيط الكلي من ابن عبد ربه لبنية الأرجوزة بإيجازه ما سيعرضه لاحقًا.

ثم نجده بعد بضعة أبيات يصف حاله وحال مجتمعه قبل مجيء الخليفة بقوله[32]:

ونحن في حنادسٍ كالليل وفتنة مثل غثاء السيلِ

حيث كانوا بحال شبيه بالليل الشديد الظلمة كناية عن سوء ما يعانوه من أوضاع وفتن تكاد أن تغرق الناس، مصورًا ذلك بالسيل المغطى بأوراق الشجر والزبد، متدرجًا في تصوير الوضع بأسلوب فني تصويري موحٍ.

وبعدها يعود إلى ذكر فضل الممدوح بتخليصهم من هذه المحن ووضع حدٍّ لها من البيت (15–

موازنة–، 135–150.

(29) ينظر: قصيدة المديح في الأندلس، د. أشرف محمود نجاة، 174.

(30) ابن عبد ربه وعقده،175.

(31) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 335.

(32) شعر ابن عبد ربه الأندلسي:335.

20) مبتدئها بقوله([33]):

حتى تولّى عابد الرحمن ذاك الأغرّ من بني مروانِ

مسترسلاً في مدحه، ثم يعود في البيت (21) وما يليه لذكر حال الناس المتردي قبل مجيء الممدوح، وذلك ضمن نسق بنائي متناوب بين الماضي والحاضر، مبينًا الفرق بين وجود الممدوح وعدم وجوده لتصوير الوضع بين الفوضى والاستقرار ، حيث يقول مستأنفًا ذكر ذلك بعد المدح([34]):

هذا على حين طغى النفــاقُ واستفحلَ النُكّــاثُ والمُرّاق
وضاقت الأرضُ على سّكانها وأذكتِ الحربُ لظى نيرانها
ونحُنُ في عشـــواء مُدلهمّة وظلمةٍ ما مثلها من ظُلمة
تأخذنا الصيـــــحة كل يومٍ فمــا تلذُّ مقلةٌ بنـــــومِ
وقد نصلي العيد بالنـــواظر مخـــافةً من العدوِّ الثائرِ

فذكر (هذا) التي اختصرت كل ما سبقها من أبياتٍ صوّر بها الحال أثناء وجود الممدوح وأثره فيه لينتقل بعدها بأثر رجعي مستذكرًا الوضع في الماضي ضمن تقنية (الاسترجاع) وهي من تقنيات الزمن السردي في بنية النصوص الأدبية([35])، حيث يصور وضع الناس قبل توليه الحكم وما كانوا يعانونه بعد انتشار ناقضي العهود والخارجين على الحكم والأعراف، فضاقت الأرض بما رحبت على السكان بحيث أنهم لقلقهم يقيمون صلاة العيد بالإيماء وبوجود الحراس خوفاً من الأعداء، فابن عبد ربه يذكر ذلك في مبالغة يقصد منها بيان شدة الخوف وكثرة الفتن وهي مبالغة محببة في الشعر.

حتى يعود في البيت (25– 39) ليصف استقرار الوضع بوجود الممدوح في قوله([36]):

حتى أتانا الغوث من ضياءِ طبق بين الأرضِ والسماءِ

خليفة الله الذي اصطفاهُ على جميع الخلقِ واجتباهُ

مشبهًا تسنمه الحكم بالغيث الذي ينزل على الأرض القاحلة فيرويها ويعيد لها الحياة فالله اختاره من بين جميع الخلق ليكون المنقذ لهم.

ثم يسهب في ذكر أوصاف الممدوح وكرمه ونسبه محاولاً من خلال ذلك إقناع المتلقي بأحقيته بالمدح، حتى يصفه بأنه أحيا مكارم الأخلاق التي كانت في زمن كعب بن مامة وحاتم الطائي في

(33)م.ن:335.
([34]) م.ن، 335.
(35) ينظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي: حميد لحمداني،73–74.
([36]) شعر ابن عبد ربه الأندلسي ، 335.

عصر صدر الإسلام، فكان يقال:((أجواد العرب ثلاثة: كعب بن مامة وحاتم طيئ (وكلاهما ضرب به المثل) وهرم بن سنان صاحب زهير))([37])، فأشار إلى ذلك بقوله([38]):

أَحيا الذي ماتَ من المَكارمِ من عَهدِ كَعبٍ وزَمانِ حَاتمِ

ولا يخفى ما في ذكر القدوة الحسنة ومضرب الأمثال من تأثير في إقناع المتلقي بما يقصده ويبتغيه الشاعر، وقد سبق وأن وقفتُ من خلال إشرافي على رسالة ماجستير على أساليب ابن عبد ربه في الإقناع وتمكّنه منه ومن ضمن ذلك مبحث خاص في موضوع المديح لديه([39]).

- **التخلص إلى ذكر الغزوات:**

ومن حسن تنظيم وسبك أرجوزة ابن عبد ربه ما جاء فيها من أبيات ممهدة للدخول إلى ذكر غزوات ممدوحه وذلك في قوله([40]):

هو الذي جمع شمل الأمه وجاب عنها دامسات الظلمه
وجدد المُلكَ الذي قد أخلَقا حتى رست أوتــادهُ واستوثقا
وجمَّع العدّة والعديـــدا وكثَّفَ الأجنادَ والحشـــودا

وهي ثلاثة أبياتٍ يصف فيها قوة ممدوحه وكيف أنه وحّد الأمةِ بعد أن كانت في انشقاقات وجمعَ الجيوشَ وجهزهم بالعتادِ، ليهيئ من كل ذلك ذهن المتلقي إلى الخوض في تفاصيل غزواته.

- **ذكر الغزوات وبنيتها أو مونتاجها:**

نجد أن تنظيم ابن عبد ربه لمقتطفات غزوات ممدوحه عبد الرحمن الناصر في اثنتين وعشرين سنة يمكن أن نطلق عليه مصطلح (المونتاج) السينمائي الذي وظفه بعضهم في المجال الشعري، فهو الأقرب للتعبير؛ إذ يقصد بالمونتاج :التجميع من الناحية التقنية والقدرة على لصق اللقطات بعضها بعد بعض([41])، وهذا ما وجدناه من حسن تنظيم متسلسل تاريخيًا لأحداث غزوات الناصر وتفاصيلها في هذه الأرجوزة.

([37]) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، 1/ 235.

([38]) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 336.

(39) ينظر: الإقناع في شعر ابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ)، 44-56.

([40]) شعر ابن عبد ربه، 337.

(41) ينظر: معجم المصطلحات السينمائية ماري تيريز، ترجمة: فائز بشور ، 68-69؛ وينظر: المونتاج الشعري في القصيدة العربية المعاصرة: د. حمد دوخي ، 24-36.

ومن لمساته التنظيمية لبناء أرجوزته أنه يجزّئ البناء العام لها إلى مقتطفات لكل عام مقدّمًا ذكره، إذ أشار الدكتور محمد أديب محقق شعره إلى أن ((التقسيم في التأريخ حسب السنوات هنا من صنع ابن عبد ربّه في العقد))([42])، فيقول مثلاً ببدء الحديث عنها: ((أول غزاة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد))([43])، ليبدأ بعدها بذكر أولى غزواته لتحرير الأندلس بعد توليه الحكم بثلاثة وعشرين يومًا، وذلك في البيت الأربعين من الأرجوزة بعد الانتهاء من المديح إذ يقول([44]):

ثم انتحى جيّان في غزاته بعسكرٍ يسعد من هِمّاته

مبتدئًا بذكر الرابط (ثم) وذاكرًا المكان الذي حلت به الغزوة (جيّان)، ثم يمضي في تصوير عظمة جيش الممدوح وبسالته في تلك الغزوة في تسعة أبيات مصورًا كيف أيده الله بالنصر وفتح الحصون الواحد تلو الآخر وأشعار الناس بالأمن والاطمئنان، ثم انتقل ابن عبد ربه إلى نتائج تلك الغزوة واطمئنان الناس وأمانهم بعدها وبعد عقد (الإلّ) أي العهد.

حيث يقول في أبيات منها([45]) :

وافتتح الحصون حصناً حصنا وأوسع الناس جميعاً أمنا

ولم يزل حتى انتحى جيـــّانا فلم يدع بأرضها شيطانا

فأصبح الناس جميـــــعاً أُمَّهْ قد عقد الإلَّ لهم والذمَّه

وفي البيت الخمسين ينتقل إلى ذكر غزوة أخرى في السنة ذاتها ألا وهي غزوة (إلبيرة) بقوله([46]):

ثمّ انتهى من فورهِ للبيرة وهي بكلّ آفةٍ مشهورة

وهي غرب غرناطة فيفصّل في ستة أبيات ذكر ما اشتهرت به المدينة من آفات_ قد يريد بها المتمردين_ متدرجًا في ذكر غزوتها ثم يصور حال الجيش وخيله وراجلته وشجاعته وهو ينتقل بين المدن ويقضي على الأعداء، حتى يصل في البيت 57 إلى ذكر غزوات في مدن أخرى ضمن العام نفسه لم تذعن لأي قائد مهما كان صارماً وشديداً مثل مدينة (إستجّة) و(الصنجيل)، لكنها عندما غزاها جيش الأمير استسلمت له، فيقول في ذلك([47]):

([42]) شعر ابن عبد ربه ،340، هامش 4.

([43]) ينظر : العقد الفريد، ج5/ 220.

([44]) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 337.

([45]) م.ن، 338.

(46) شعر ابن عبد ربه الأندلسي ، 338.

(47) م. ن، 339.

وقبلها ما خضعت وأذعنت إستجةٌ وطالما قد صَنَعَت
وبعدها مدينة الصّنجيـــل ما أَذعنت للصَّارمِ الصَّقيلِ
لما غَزاها قائدُ الأَميـــــرِ باليُمنِ في لِوائِهِ المنصورِ
فأسلمت ولم تكن بالمُسلمَهْ وزالَ عنها أَحمدُ بَنُ مَسلمهْ[48]

ففي هذه الأبيات يلح ابن عبد ربه على مدى قوة هذه المدن، فذكر بأنها لم تخضع مُرغمة لقائد الجند الذي نصّبه الأمير، ولم تستسلم (للصارم الصقيل) أي بفعل القوة التي غلبتها، وإنما أذعنت له (باليُمن في لوائه المنصور) فخضعت راغبة في الدخول للإسلام لا بقوة السلاح، كنايةً عمّا يحمله الإسلام من خير ويمن، مؤكدًا على السلم من خلال جناسات (أسلمت، مُسلمة، مَسلَمة) التي أغنت أيضًا إيقاع الأرجوزة.

ثم ينتقل إلى ذكر الغزوات في السنة التالية بذكر زمان ذلك بقوله ((سنة إحدى وثلاثمائة)) ثم يذكر الأبيات تحتها من البيت 65– 70 حيث يقول في أولها([49]):

ثم غزا في عقب عامٍ قابلِ فجال في شَذونةٍ والساحل

وذكر بعدها الغزوات التي حدثت في هذا العام بتفصيل ذكر أماكنها وأحداثها، ثم ينتقل ليقارن (سنة اثتنين وثلاثمائة) باختصار مع السنوات الأخرى التي تحدّث عنها في بيتين فقط (71–72) بقولهِ([50]):

كانَ بها القُفولُ عندَ الجيَّه من غَزو إحدى وثلاث ميَّه

فلم يَكن يُدرَكُ في باقيها غزوٌ ولا بَعثٌ يكونُ فيـــها

ولعل السبب في هذا الاختصار أن الأمير لم يغزُ في تلك السنة وذلك لحلول مجاعة عظيمة انتشر فيها الوباء وعمَ الموت، فأبدى عبد الرحمن حنكة في التعامل مع تلك الأزمة وأوقف حملاته العسكرية في ذلك العام ووزّع الصدقات فحذا حذوه الأمراء ورجال الدولة مما أسهم في تخفيف وطأة المجاعة على الشعب فزاد من شعبيته بين أبناء شعبه[51]، ولكن ابن عبد ربه لم يفصّل

(48) (أحمد بن مَسلمة: هو أحد أعيان أشبيلية نزل عند طاعة الأمير عبد الرحمن ورضخ لحكمه وتسنم في عهدهِ عدة مناصب) ينظر: شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 339 ، هامش 4.

(49) م. ن، 340.

(50) م.ن، 341.

(51) ينظر: المجاعات والأوبئة بالأندلس وأثرها في ضور المصادر العربية بالفترة من 138هـ/756م– 422هـ/1031م: 4688.

في ذكر أحداثها واكتفى بالإشارة إلى كونها تخلو من الغزوات؛ ربما لأنه قد خصص هذه الأرجوزة لذكر الغزوات فقط ، لكن منهجيته في تنظيمها اقتضت ذكر السنة والإشارة إلى خلوها من الغزوات.
ثم ينتقل الى سنة (303هـ) ذاكرًا استئناف الغزوات في الأبيات (73–82)، وبعدها، فيذكر غزوات سنة (304هـ). بقوله([52]):

وبعدها كانت غزاة أربعِ فأيّ صنعٍ ربُّنا لم يصنعِ

وهكذا يستمر الشاعر في وصف المعارك بذكر سنواتها وأماكنها وأبرز أحداثها وأسماء قوّادها إلى ذكر آخر غزوة أرّخها في ((سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة))([53])، حيث يبدؤها بقوله:

ثم غزا الإمام ذو المَجدينِ في مُبتدا عشرينَ واثنتينِ

مسترسلاً في ذكر أحداث هذه السنة في تسعةٍ وعشرين بيتًا.

- **خاتمة الأرجوزة:**

توقف ابن عبد ربه عن سرد غزوات الناصر عند سنة322هـ إذ يقول: ((الأرجوزة التي نظمتها في مغازيه كلها من سنة إحدى وثلثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة، وأوقفناها))([54])، رغم أنّ عبد الرحمن الناصر ظل يحارب إلى ما بعد هذا التأريخ، ورغم أنّ حياة ابن عبد ربه استمرت إلى سنة 328هـ؛ ولعل ابن عبد ربه سكت عن تدوينَ خذلان الناصر في خمس السنين الأخيرة قبل وفاة ابن عبد ربه فنأى عن ذكرها في أرجوزته، أو لعله ذكرها ولكن من جمع عقده و كتبه بعده قد أهملها وحذفها لا سيما وإنّ الجامع لشعرهِ وبعض أخباره كان الحكم بن عبد الرحمن الناصر نفسه[55].

أما (الخاتمة) التي أعارها النقاد القدامى اهتماماً لا يقل عن اهتمامهم بالمطلع والتخلص فأكدوا على ضرورةِ اعتناء الشعراء بها ووجوب تجويدها لأنها قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في السمع فإن حُسنَت حَسُنَ الكلام بها وأن قَبُحَت قَبُحَ، وإذا كان أول الشعر مفتاحهُ فإن الخاتمة قفلهُ[56]، فقد

(52) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 342.
(53) م.ن، 373.
(54) العقد الفريد، مج2/ج5/217.
(55) ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس:،101؛ وينظر: ابن عبد ربه وعقده، 39 – 40 .
([56]) ينظر : العمدة ، ج1 / 239 .

جاءت مختصرة في الأرجوزة هذه في الأبيات (444–445) التالية لذكر إحدى الغزوات بقوله([57]):

ثم ثنى الإمامُ من عنانِـــهِ وقد شَفى الشَّجيَّ من أشجانِهِ

وأَمَّنَ القفارَ من إيجاسها([58]) وطَهَّرَ البلادَ من أرجاسِهـــا

إذ كان على الشاعر أن يختتم قصيدته بما يبقى في ذهن الممدوح ويثيره ويدفعه للعطاء وتلبية الغرض من القصيدة[59] ، لكن ابن عبد ربه هنا اقتضبها دون إسهاب كما هو دأبه، رابطًا إياها مع بداية الأرجوزة في المديح بما سبق سرده للغزوات في الأبيات (37–39) التي قال فيها([60]):

هو الذي جمّع شمل الأُمَهْ وجاب عنها دامسات الظلمه

وجدد الملك الذي قد أخلقا حتى رست أوتاده واستوثقــا

وجمّع العدّة والعديـــــدا وكثّفَ الأجناد والحشـــودا

ويمكننا أن نرجّح بأن هذا البناء الفني المدوّر المحكم لأرجوزة ابن عبد ربه الأندلسي رغم طولها جاء نظمه مرّة واحدة غير مجزّأ؛ لما فيه من جودة سبك وحبك([61])، والذي أجبر الدكتور جبرائيل جبور على العدول عن رأيه بعدم شاعريتها والاعتراف بكونها متميزة بنظمها كقصيدة واحدة متكاملة([62]) .

- **الأسلوب الفني للأرجوزة:**

لكل نوع أدبي أسلوب يميزه عن غيره من أفانين الأدب، ولكل أديب أسلوبه المميز عن غيره، ويمكننا أن نعد أرجوزة ابن عبد ربه الأندلسي من الملاحم الأدبية، والملحمة هي: قصيدة قصصية طويلة موضوعها البطولة، أو هي عمل أدبي يمجد جماعة بسرد مآثر بطل حقيقي أو أسطوري تتجسد فيه المُثُل([63])، فنجد في الأرجوزة:

([57]) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 376.

([58]) إيجاسها: فزعها وخوفها، وفي العقد: أنجاسها(العقد الفريد،مج2/ج5/237).

([59]) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي،105.

(60) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 337.

([61]) ينظر: بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر: مرشد الزبيدي، 93.

(62) ينظر: ابن عبد ربه وعقده، 39.

(63) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، 205.

– أولاً: أسلوب السرد:

جاءت الأحداث التاريخية لمغازي الناصر بأسلوبٍ سردي موضوعي؛ والسرد الموضوعي هو ((التجرد الموضوعي التام عن الشخوص والأحداث وفيها يكون الراوي شخصاً خارجاً عن نطاق الحدث))[64]، ويمكن أن نعزو ذلك إلى أن الشاعر لم يشترك فعلاً بتلك الغزوات التي وقعت في عصرهِ، فلم يذكر عن نفسه خبر واقعة اشترك فيها كمقاتل، ولا نجد إشارة عند غيره إلى مرافقته أميراً أو قائداً في غزوة، لكن من المؤكد أنه عاش محنها[65]، كما لم نجده يشير من خلال هذه الأرجوزة إلى نفسه ووجوده في الغزوات التي يصفها وإنما جاء وصفه لها وصف متفرج أو مصوّر لما سمعه من أحداثها، وهذا ما يؤكد على سعة خياله الفني الذي سرد أحداث العشرات من الغزوات دون أن يشارك فيها.

–ثانيًا: الألفاظ ودلالاتها وتركيبها:

لغة النص الأدبي هي الوعاء الأساس لها؛ فبها يعبّر الأديب عن فكرته، وبها يرسم صوره الشعرية، وبأصواتها تتناغم موسيقاه، لذا فإنها كانت ومازالت محط اهتمام النقاد والأدباء.

أمّا عن لغة ابن عبد ربه الأندلسي في أرجوزته التاريخية فقد تميزت بسهولة ألفاظها بحيث لا تحتاج إلى معجم لتفسير كلماتها غالبًا، إذ جاء نظمه لها مرسلاً طبيعياً لا تصنّع فيه، وإن تميزت مقدّمته وما تلاها من المدح الى البيت 39 بأسلوب لغوي شعري يختلف عمّا يليه؛ إذ ركّز في مقدمته على الألفاظ التي تبرز عقيدته الإسلامية في ماهية الله تعالى والتفكير بعظمة خلقه موظفًا تعابير مثل:(سبحان من لم تحوه أقطار، لم تدركه الأبصار، جلّ أن تدركه العيون، جلّ أن يحوياه الوهم والظنون...) مكررًا المعاني ذاتها بأساليب مختلفة تسود فيها معاني التأمل والخيال والحكمة.

في حين ركّز في مدحه للخليفة الناصر على الألفاظ الدالة على قوته المدعومة بالإيمان، فضلاً عن التعابير الدالة على حسن نسبه وخَلقه وخُلقه مثل تعابير: (أباد الكفر والنفاقا، شرد الفتنة والشقاقا، حكّم في عداته سيفًا يسيل الموت من ظباته، خليفة الله على عباده، احتمى بالواحد القهّار، من تحلّى بالندى والباس، الرفيع من بيانه...)، فنرى في هذه الأبيات قوة في المعاني مع جزالة في الألفاظ، وهو كثيرًا ما يذكر أسماء الخليفة وقوّاده أو ألقابهم وكذلك أسماءَ وألقاب العديد من قادة أعدائه والأشخاص الذين تمردوا على الحكم، فمن أسماء وألقاب الخليفة:(خليفة الله، الأمير، الإمام...)، ومن أسماء وألقاب قوّاد جيشه:(قائد الأمير، بدر(حاجب الأمير)، قائد الجيش أبو

(64) ينظر : النقد التطبيقي والتحليلي: د. عدنان خالد عبد الله، 85 .

(65) ينظر: ابن عبد ربه وعقده ، 40 .

العباس، وهو ذاته الذي يذكره باسم ابن أبي عبده، القرشي، قائد القنابل(أي الطائفة من الخيل والناس...)، أما قادة الأعداء أو المتمردون فكثيرًا ما يطلق عليهم أسماء(الخنزير، والكلب)، وهم وجيشهم يصفهم بالعلوج أو العلجان (مفردها عِلج وهو الكافر من العجم)، ومن المتمردين مَن ذَكر أسماءهم مثل(أحمد بن مسلمة، والسوادي وغيرهما)([66]).

كما نجد في هذه الأرجوزة خصوصية في استخدام الألفاظ الدالة على الزمان بحكم كونها تاريخية موثّقة للأحداث، فابن عبد ربه كثيرًا ما يذكر فيها ألفاظ (سنة، عام ، شهر، يوم...) مقترنة غالبًا بأدوات الربط التي يوظفها في أرجوزته بشكل كبير للتسلسل الزمني التعاقبي مثل:(بعدها، بعد عام، عقب، ثم، ثمت، الفاء، الواو...) للربط بين ذكر غزوة وغزوة أخرى أو مسلسلاً أحداث الغزوة الواحدة مما يمنح الأرجوزة وحدة عضوية تضم تركيباتها البنائية المختلفة إذ وكما يقول الدكتور عبد الرحمن بو درع: ((لا تركيب إلا بأدوات الربط))([67])،

ويبرز هذا الأسلوب الترابطي خاصة في الأبيات التي يُبين فيها تواريخ الغزوات كما في الأبيات الآتية على سبيل المثال مكررًا توظيف كلمة (بعد ومشتقاتها) في أبيات متفرقة من الأرجوزة([68]):

وبعدها في آخر الشهورِ من ذلك العام الزكيّ النورِ
....
وبعدها كانت غزاةُ أربع فأيّ صنعٍ ربّنا لم يصنع
....
وبعدها كانت غزاة خمسٍ إلى السواديّ عقيد النحسِ

وفي لغة أرجوزته نجده يذكر العديد من أسماء المدن أو الأماكن التي وقعت فيها الغزوات وأوصافها بإيجاز معبّر؛ مثل (جيّان)، كما في قوله([69]):

ثم انتحى (جَيّانَ) في غَزاتِهِ بعسكرٍ يسعرُ مِن هِمّاتِهِ
فاستنزل الوحش من الهضابِ كأنَما حطّت من السحابِ

([66]) ينظر: شعر ابن عبد ربه، 339،هامش4، و 128، هامش 2.

(67) النص الذي نحيا به–قضايا ونماذج في تماسك النص ووحدة بنائه: د. عبد الرحمن بودرع، 192.

(68) ينظر: شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 339 –344.

(69) م.ن، 337.

حيث ذكر اسم المدينة (جيّان)([70]) والخصوصية الجغرافية لها إذ تحيطها الهضاب التي بدأ نزول الجيش منها، ثم ذكر ما يتصل بها من موقع الغزوة الأخرى في إلبيرة بقوله(71):

ثم انتهى من فورِهِ إلبيرَه وهي بكلِ آفةٍ مشهوره

فذكر الشاعر (إلبيرة) : وهي مدينة أرضها كثيرة الأنهار والأشجار[72]، مشيرًا إلى ما يميزها من اشتهارها بكثرة الآفات التي ربما يريد به المتمردين وكثرتهم فيها، وهكذا مع بقية المدن والمناطق التي حدثت فيها المعارك.

كما يكثر في لغتها من ذكر الآلات الحربية المستخدمة آنذاك وأوصافها مما يوثّق محلية الأرجوزة وتأطرها بالزمان والمكان المحدّدَين، فذكَر السيوف والرماح والدروع والحصون والقلاع وغيرها فضلاً عن ذكر الخيل والفرسان والراجلة والقادة الذين يبالغ في وصف قوتهم كما في قوله([73]):

أصدَقَها بالخيــلِ والرجـــالِ مشمِّرًا، وجدَّ في القتالِ

فنازَلَ الحصنَ العظيم الشانِ بالرَّجلِ والرماةِ والفرسانِ

ولا شك أنّ في أسلوب نظم الأرجوزة التاريخية تقييد وتجديد بالوقت ذاته في التوظيف اللغوي؛ حيث يتقيد الشاعر فيها بأن يجلب قافيتين للبيت ذاته إحداهما للصدر وأخرى للعجز لكل بيت من أبياتها التي بلغت 445 بيتًا، ومما يسجل للأرجوزة أيضًا طول النفس الشعري فيها المرافق لهذا التقييد وما يرافقه من كم المفردات اللغوية المترادفة في الكثير منها للدلالة على ما يدخل في وصف الحروب وقوة الجيش وقادته وما يشير من خلالها إلى التسلسل الزمني للأحداث، مثل الترادفات عند بداية سرده لكل غزوة بقوله على سبيل المثال: (ثم انتحى جيان، ثم انتهى من فوره للبيرة، ثم غزا...، ثمت أغزى، ثم انثنى من بعد ذاك، ثم أقاد(أي انتقم)، حتى إذا حلّ...)، ولا بد أن يكون للشاعر مخزون لغوي وفير ليتمكن من توظيف هذه الترادفات بأسلوب أدبي.

- **ثالثًا: تشكيل الصور**

لاقت الصورة الشعرية اهتمامًا كبيرًا من النقاد قديمًا وحديثًا من حيث مكوناتها وأساليبها

(70) ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي، ج2/ 195.

(71) شعر ابن عبد ربه، 338.

(72) معجم البلدان، ج1/ 244 .

(73) شعر ابن عبد ربه، 344.

ومصادرها وجمالياتها[74]، وقد عُرّفَت بعدة تعريفات من أبرزها أنها: ((رسمٌ قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة))[75].

وقد عدّ الجاحظ (ت255هـ) الصور جزءًا أساسيًا في الشعر حين قال: ((فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير))[76]، لذا فلا بد من الوقوف عند دراستها في الأرجوزة التاريخية لابن عبد ربه ونحن نقف عند دراسة بنيتها وأسلوبها لإثبات شعريتها والحياد بها على الرأي القائل بأنها منظومة تاريخية فقط.

وقد وجدنا أن مقدمتها مليئة بالصور الشعرية التي تسترعي انتباه الدارس، من ذلك قوله واصفًا حال أهل الأندلس قبل تولي الناصر الحكم في بيتين غير متتاليين[77]:

ونحنُ في حَنادسٍ كالليلِ وفتنةٍ مثلِ غُثاءِ السَّيلِ
ونحنُ في عشواءَ مدلهمّة وظلمةٍ ما مثلها من ظُلَمَه

حيث أشار إلى ما كانوا يعانونه من الظلم والحزن والقهر والفتن من خلال الصور البصرية هذه التي يسودها الظلام وما يدل عليه من دلالات البؤس (في حنادس كالليل، عشواء مدلهمّة، ظلمة ما مثلها من ظلمة)، وكذلك تشبيه الفتن بغثاء السيل حيث يجرف الماء بسيله كل ما يلاقيه، فجسّد المعنوي من خلال تشبيه المجرد بالمحسوس لنقل الصورة من العقل إلى الإحساس، مما جعلها صورة خيالية تشبيهية لونية حركية معبّرة عن الذات الشاعرة بما يدور حولها من أحداث تاريخية يود الشاعر نقلها إلى المتلقي موظفًا أداتي التشبيه (الكاف، ومثل) لتمثيل الصورة بلاغيًا وإضفاء الصورة الحسية على المعنى المعنوي تقريبًا لذهن المتلقي وإقناعًا له، ولا يخفى ما أثاره اختياره للفظتي (حنادس)التي تعني شدة الظلمة، و(مدلهمّة) التي تشير إلى المعنى ذاته من تأكيد الإحساس بالظلام المتصور والعيش في أجوائه ودلالاته.

ثم تلى تلك الأبيات بصورة للخليفة تبين أثره بإزاحة ذلك الظلام بقوله:

حتى أتانا الغوث من ضياءٍ طبّقَ بين الأرضِ والسماءِ

فبهذه الصورة البصرية أزاح الشاعر ما أوحاه من ظلمات يعيش بها الناس قبل تولي الخليفة للحكم، حيث أتاهم غوثًا مضيئًا الأرض والسماء، مستدعيًا ما يوحيه الضياء من دلالات إيجابية.

(74) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: جابر عصفور، 381.
(75) الصورة الشعرية : سي – دي لويس ، 23 .
(76) الحيوان،ج3/ 132.
(77) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 335

كما يصوّر ابن عبد ربّه الخليفة الناصر بعد بضعة أبياتٍ بما يؤكد تلك الصورة الضوئية في قوله([78]):

تكلُّ عن معروفه الجنائب وتستحي من جوده السحائب
في وجههِ من نورهِ بُرهانُ وكفّه تقبيلـــــــــــُها قُربانُ

فالنور بوجه الممدوح له دلالات إيجابية حيث يدل على الصفاء وقوة الإيمان والتفاؤل، فضلاً عن تركيزه في هذين البيتين على كرمه ونصرته للفقراء والمعوزين بحيث أن (الجنائب) وهي ريح الجنوب التي يقال عنها أنها تحمل الخير([79]) فتعجز هي والسحائب عن شكر كرم الخليفة، وهو بذلك يشخّصهما ملبسًا لهما صفاتٍ إنسانية.

كما أنه في أبيات تالية يصور البحر أيضًا وهو يستحي من كرم الخليفة حين قال([80]):

لو خايل البحرُ نَدَى يَديهِ إذا لجَت عُفـــــــاتُهُ إليه
لغاض أو لكاد أن يغيضا ولاستحى من بعد أن يفيضا

ولا يخفى ما في هذين البيتين من صورة حركية تصور اجتماع المعوزين على الخليفة ليرفدهم بكرمه (لجّت عفاته)، فضلاً عن تصوير حركة البحر وهو يغيض تارة ويفيض تارة أخرى.

وكثيرًا ما وظف ابن عبد ربه الكناية في أرجوزته التي منها قوله في وصفه لإحدى غزواته التي انتهت باستسلام قائد جيوش الفرنجة ورضوخه لأوامر الناصر([81]):

فأحمدَ اللهُ شهاب الفتنَهْ وأصبحَ الناس معًا في هدنَهْ
وارتعتِ الشاةُ معاً والذِّيبُ إذ وضَعتْ أوزارها الحروبُ

حيث كنّى عن تأجج الفتنة بذكر الشهاب، وكنّى عن استقرار العيش بفضل الخليفة الناصر بعد انتهاء المعارك بصورة مستلهمة من طبائع الحيوانات التي يستحيل تصورها إلا بوجود معجزة، وهي تعايش الشاة مع الذئاب، حيث عاش الناس في المدينة من شتى الطوائف والأديان والاتجاهات.

كما أن الكثير من الأبيات وظف فيها الجناس والسجع والطباق التي أضافت على الأرجوزة إيقاعًا تنغيميًا، كما نجد أوصافًا تدخل فيها الأساطير والأوصاف العجائبية للمبالغة في وصف قوة

(78) شعر ابن عبد ربه الأندلسي ، 336.

([79]) ينظر: ما وراء اللغة: د. يحيى عبد الرؤوف جبر، مجلة الدارة، السعودية، ع1،السنة السادسة، 1400هـ-1980م، 207.

(80) م.ن، 336.

(81) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 342.

الخليفة أو الجيش وقياداته أو شدة المعارك، والتي منها قوله واصفًا تقدم الجيوش في غزوة (ملوندة)([82]):

في فيلقٍ مجمهرٍ لهامِ مدكدكِ الرؤوسِ والآكامِ
حاف الرُّبا لزحفهِ تجيش تجيشُ في حافاته الجيوشُ
كأنهم جنٌّ على سعالي وكلهم أمضى من الرئبالِ

فهي صورة لعب بها خيال الشاعر في تصوير الموقف والحدث التاريخي بما يثير نفس المتلقي ويجعله يتفاعل مع الحدث، حتى حق لأرسطو أن يقول (الشعر أكثر فلسفة من التاريخ)، فالمفردات اللغوية التي نسج منها الصورة (مجمهر، لهام(أي الجيش العظيم)، مدكدكِ(أي المجتمع الكثيف)، والآكام(الأماكن المرتفعة) ، مع التكرار والجناس في (تجيش، تجيش، الجيوش) والصورة البصرية المرصعة بالخيال(كأنهم جنٌّ على سعالي) في وصفه للفرسان ممتطين الجياد المسرعة بحيث أنها تفوق الرئبال (الأسود) في سرعتها وقوتها، وكيف أن الربا و(هي الأماكن المرتفعة) كانت تجيش أي تزخر وتمتلئ جدًا حتى تكاد أن تفيض وتغلي بهذه الجيوش، كل تلك الأوصاف جعلتنا نحس بعظمة هذا الجيش وقوته وجلبة أصواته، وهي من الصور الشعرية التي يحسن الشعر ويتأكد الصدق بها لما فيها من كثرة التشبيهات في الهيئة والحركة والصوت([83]).

كذلك نجد في الأرجوزة الكثير من الاقتباسات أسوةً بشعراء الأندلس، لأنهم كانوا على دراية واسعة بالقرآن الكريم وهذا ما انعكس على صورهم فكثر الاقتباس في شعرهم[84]، من ذلك قوله واصفًا ذعر الإفرنجة وهم يترقبون بوجل وفزع دخول جيوش المسلمين إليهم([85]):

كادت لها أنفسهم تجود وكادت الأرض بهم تميدُ
لَولا الإِلهُ زُلزِلَتْ زِلزَالُهَا وَأَخْرَجَتْ مِنْ رَهبَةٍ أَثْقَالَهَا

اقتبسه من قوله تعالى ((وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾)) وقوله تعالى((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2)))(86) ، فهو يصور حال العدو وكأن الأرض تتمايل وتتزلزل من تحت أقدامه من شدة احتدام المعركة مستمداً معانيه مما جاء في القرآن الكريم من أوصاف الأرض يوم القيامة.

([82]) شعر ابن عبد ربه الأندلسي ، 373-374.
(83) ينظر: عيار الشعر، 56.
([84]) ينظر: الشعر في قرطبة، 508 .
([85]) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 338.
(86) سورة النحل / الآية 15 وسورة الزلزلة /الآية 1-2 .

ونجد اقتباسًا آخر جاء في البيت الذي يقول فيه([87]):

فتحسب الناس جراداً منتشر كما يقول ربنا فيمن حشر

حيث وصف اجتماع الناس حين خرج الجيش في إحدى غزوات الناصر محتشدين من كل مكان مشبهًا الموقف هذا بيوم الحشر ومقتبسًا ذلك من قوله تعالى((خشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ(7)))(88).

وغير ذلك الكثير من الاقتباسات القرآنية المتضمنة في الأرجوزة والتي تغني الصور الفنية وترفع من أدبيتها وشعريتها.

رابعًا: الإيقاع الصوتي

للإيقاع الصوتي أهمية في شعرية النص الأدبي تضاهي أهمية معجمه اللغوي وصوره، حيث أن التنغيم الموسيقي له قدرة على جذب المتلقي كما له الفضل في سهولة حفظ النص الشعري مقارنة مع النص النثري، ولا يخفى ما للأرجوزة من خصوصية إيقاعية في نظمها تتمثل في وزنها وقافيتها.

وزن الأرجوزة:

سميت الأرجوزة بهذا الاسم لنظمها من بحر الرجز المتمثل بتكرار تفعيلة (مستفعلن) ست مرات بواقع ثلاث تفعيلات في كل شطر، وهو من البحور التي يسهل النظم بها وهو أقرب البحور الشعرية إلى النثر، وبه تنظم الأراجيز، وبخاصة في نظم الشعر الحماسي الواصف للمعارك([89]).

ومن خلال وقفة إحصائية لتفعيلات الأرجوزة وما فيها من زحافات وعلل وجدنا ما يأتي:

بلغ عدد تفعيلات الأرجوزة كاملةً (2670) بواقع 6 تفعيلات في (445) بيتًا، وهي كما مبين في الجدول أدناه:

التفعيلة	عددها
(مُسْتَفْعِلُن) /0//0/0 صحيحة	**815**
(مُتَفْعِلُن) //0//0 مخبونة(أي محذوفة الثاني الساكن)	**897**

(87) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 352.

(88) سورة القمر/ الآية 7.

(89) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية: د. صفاء خلوصي،123.

(مُسْتَعِلُن) /0/// مطوية(أي محذوفة الرابع الساكن)	**356**
(فَعِلَتُن) ////0 مخبونة مطوية(أي محذوفة الثاني والرابع الساكنين)	**24**
((مُتَفْعِل) //0/0 مقطوعة مخبونة(أي محذوفة الثاني الساكن مع حذف الساكن الأخير وتسكين ما قبله) وهذا(في العروض والضرب فقط)	**322**
(مُسْتَفْعِل) /0/0/0 مقطوعة (أي محذوفة الساكن الأخير مع تسكين ما قبله) وهذا (في العروض والضرب فقط)	**256**
المجموع	**2670**

فنجد بشكل عام أنّ الزحافات والعلل التي تحوي على حذف ساكن أو ساكنين من التفعيلة هي الغالبة بحيث تمثل (1599) تفعيلة، مقابل (1071) تفعيلة محتفظة بثلاث ساكنات، ولا يخفى ما توحيه غلبة الحركات في النص من جلبة وإثارة تتناسب مع موضوع الأرجوزة في وصف المعارك والتفاعل النفسي معها، فضلاً عمّا تثيره تلك الحركات الصوتية من إحساس بالحركة الفعلية للمواقف وسرعتها وبخاصة في وصف المعارك، ويؤكد ذلك الرأي الوقفة الصوتية المقارنة بين التفعيلات في مقدمة الأرجوزة مع التفعيلات التي في غرضها الأساس، حيث وجدنا أنّ تفعيلات **مقدمة الأرجوزة** والتي تمثل جزءًا من الإحصائية العامة لها والواقعة في 39 بيتًا بواقع (234) تفعيلة تعلو بها نسبة الساكنات وذلك حسب الإحصائية الآتية:

التفعيلة	عددها
(مُسْتَفْعِلُن) /0/0// صحيحة	71
(مُتَفْعِلُن) //0// مخبونة	66
(مُسْتَعِلُن) /0/// مطوية	32
(فَعِلَتُن) ////0 مخبونة مطوية	غير موجودة
((مُتَفْعِل) //0/0 مقطوعة مخبونة	42
(مُسْتَفْعِل) /0/0/0 مقطوعة	23
المجموع	**234**

فنجد فيها الكثير من الزحافات التي يحذف بها الساكن مما يتناسب مع موضوع الأرجوزة، لكن في المقابل فإنها نسبيًا أقل من التفعيلات التي بها أوصاف للمعارك؛ وذلك بحكم تناسبها مع موضوع التأمل بملكوت الله؛ فبطّأ ابن عبد ربه من حركاتها ومال الى الساكنات أكثر.

القافية:

قال الجاحظ (ت255هـ) في أهميتها: ((حظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت))[90] ،وقد لاقت القوافي اهتماما مميزًا من الشعراء والنقاد قديمً وحديثًا، فكيف هو الحال إذن بأهميتها في الأرجوزة التي تضم قافيتين إحداهما داخلية والأخرى خارجية (أي مصرّعة) لكل بيت فيها!

والقوافي على نوعين: مقيدة ومطلقة، فأما (القافية المقيدة) فهي التي يكون رويها ساكنًا متحررًا من الحركات الإعرابية في آخرها، وأمّا (القافية المطلَقة) فهي التي يكون رويها متحركًا[91] .

وبعد إحصاء قوافي ابن عبد ربه في الأرجوزة خرجنا بنتيجة أنّ أغلبها جاءت مطلقة عدا (22) بيتًا منها جاءت قوافيها مقيدة من أصل (445). وبالرغم من أن القوافي المقيدة تحرر الشاعر من حركات الإعراب في آخر القافية [92] ، إلا أنها تؤثر في الإيقاع وتميز البيت بتوقف حاد مثل البيتين المتتاليين الآتيين في ذكر رضوخ طليطلة لحكم الناصر بعد أكثر من سنتين من المعارك والحصار ولم تكن قد أذعنت سابقًا لأحد يقول فيها بصرامة ([93]):

حتى إذا ما كان منها بالأمَمْ وقد ذكا حرّ الهجير واحتدمْ([94])

أتاه واليها بأشياخِ البلدْ مستسلمين للإمام المُعتَمَدْ

فالسكون المقيد لقوافي شطري البيتين زاد المعنى صرامة وقوة.

أمّا القوافي المطلقة المنتهية بحركات إعرابية فهي لا شك أصعب في النظم من المقيدة ولها من الدلالات على الحركة الواقعية أكثر من المقيدة، ولهذا فإن شيوع القوافي المطلقة في هذه الأرجوزة بسبب ارتفاع نبرتها الإيقاعية ناسب وصف المعارك وجلبتها.

ولا يخفى ما يوحيه الانتقال من القوافي المقيدة إلى المطلقة بين بضعة أبيات من تناوب للمشاعر والأحاسيس التي تتفاعل مع أحداث الغزوات ومسارها.

أما **عيوب القافية** التي وقف عندها النقاد فلا تعد جميعها عيبًا في الأراجيز كما هو الحال في القصائد، وهي متعددة منها (التضمين العروضي): ((وهو تعلّق نهاية البيت الأول ببداية البيت

(90) البيان والتبين ، ج1 / 111 .

([91]) م.ن، 217

([92]) م.ن، 215

[93] شعر ابن عبد ربه الأندلسي،370.

([94]) الأمَم: المكان القريب، ذكت النيران: اشتد لهيبها.

الثاني)) [95]، وهذا في القصائد عامة، أمّا في (الأراجيز) وحسبما ذكر جبّور عبد النور أنه يسمح للناظم أن يعلق قافية بيت بما بعده (التضمين) ولا يعد ذلك عيبًا[96].

ومن الأبيات التي ورد فيها التضمين قول ابن عبد ربه[97]:

لو خايلَ البَحرُ ندى يديهِ إذا لجت عُفاتُهُ إليهِ

لغاضَ أو لكادَ أَن يغيضَا ولاستَحى من بعدُ أن يَفيضَا

وكذلك قوله[98]:

حتى أناخَ في ذُرى قرْمونه بكَلْكلٍ كَمُدرةِ الطاحونة[99]

على الذي خالفَ فيها وانتزى يُعزى إلى سوادةٍ إذا اعتزى

وكذلك الحال في عيوب القافية الأخرى التي تتعلق بالقصائد موحدة الروي والقوافي فلا نجد أنها يمكن أن تكون عيوبًا في الأراجيز لخصوصية نظمها، مثل سناد التأسيس أو سناد الرّدف وغيرهما[100].

الإيقاع الداخلي:

وهو التنغيم الصوتي المتأتي من تكرارات صوتية داخل النص عدا تلك التي ينغّمها الوزن الشعري.

وأكثر ما يغني الإيقاع الداخلي للأراجيز عامة هو **التصريع** في جميع أبياتها وهذا مما اشتهر في الأراجيز، وهو ما يسمى بالنظم المزدوج[101]، حيث تتكرر قوافي الشطر الأول لكل بيت مع قافية الشطر الثاني مما يمنح الأرجوزة تنغيمًا موسيقيًا يعوضها عن توحيد القوافي الخارجية.

كما أن تكرار الكلمات له أثر أيضًا في التنغيم الموسيقي للنص، وقد وجدنا ذلك في الأرجوزة

([95]) فن التقطيع الشعري والقافية، 279.

(96) ينظر: المعجم الأدبي، 14.

([97]) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 336–337.

([98]) م.ن ، 340–341.

([99]) قرمونه: مدينة أندلسية، الكلكل : الصدر ، مدرة الطاحونة: حجرها الكبير.

([100]) ينظر: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، 5؛ وينظر: فن التقطيع الشعري والقافية ، 282 .

([101]) ينظر: م.ن ، 288 .

التاريخية لابن عبد ربه في بدايات الأبيات مثلما ذكرنا على سبيل المثال تكرار لفظة (بعد) ومشتقاتها، فالشاعر يميل إلى هذا الأسلوب من التكرار ليس من أجل التأكيد ولا من أجل المدلول السطحي فحسب بل لإغناء النص بإيقاعٍ يتناسب مع الدلالات، ومن ذلك أيضًا تكراره كلمة (سبحان) في بداية الأرجوزة لتوجيه المتلقي إلى التأمل بتنزه الله تعالى عن عباده وتعظيمه وجلالة الخالق وخلقه في قوله([102]):

سُبحانَ من لم تحوهِ أقطارُ ولم تكُن تدركُهُ الأبصارُ

....

سُبحانهُ من خالقٍ قديرِ وعالمٍ بخلقِهِ بَصيــرِ

كما نجد في هذين البيتين تناسب الإيقاع مع المعنى أيضًا من خلال تكرار حروف المد فيها في كلمات (سبحان، أقطار، الأبصار، سبحانه، خالق، قدير، عالم، بصير) إذ تكررت ثمان مرات في بيتين أوحت للمتلقي بالتأمل في ملكوت الله والتحليق وإطلاق الخيال في عظمة خلقه.

ويكثر أيضًا في هذه الأرجوزة **التوازي** الذي يمنحها تنغيمًا وإيقاعًا داخليًا، وقد عرّف التوازي على أنه : ((تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة من الكلمات أو العبارات القائمة على الازدواج الفني وترتبط ببعضها))([103])، ومما يمثل ذلك قوله([104]):

وأولٍ ليسَ لهُ ابتداءُ وآخرٍ ليسَ لهُ انتهاءُ

حيث وازت كل كلمة في الشطر الأول مثيلتها في الشطر الثاني: (أوّل/آخر)، (ليس/ليس)، (له/له)، (ابتداء/انتهاء).

وكذلك قوله في آخر بيت([105]):

وأمّنَ القِفارَ من إيجاسها وطهّرَ البلاد من أرجاسها

فالكلمات في الشطر الأول موازية للكلمات في الشطر الثاني: (وأمّن/ وطهّر)، (القفار/ البلاد)، (من/من)، (إيجاسها/ أرجاسها).

ولا يخفى ما تمنحه هذه التوازيات من تنغيم موسيقي ناتج عن التكرار الصوتي،

هذا عدا الكثير الكثير من **الجناسات وطباق السلب وغيرها من المحسنات البديعية** في البيت الواحد

([102]) شعر ابن عبد ربه، 334.

([103]) البديع والتوازي: د. عبد الواحد حسن الشيخ، 7.

(104) شعر ابن عبد ربه، 334.

([105]) م.ن، 376.

أو الأبيات المتتالية، مما أضفى إيقاعًا داخليًا مثل الجناس بين (الجنائب والسحائب) و(عن، ومن) وغيرهما.

ومما تجدر الإشارة إليه في دراستنا للإيقاع الموسيقي لهذه الأرجوزة أننا لم نجد استخدامًا لضرورات شعرية في عامة الأرجوزة، وما عدَّه الدكتور محمد أديب جمران من ضرائر الشعر في قصر الممدود لكلمة (نَعما) في قول ابن عبد ربه في البيت 36([106]):

من أسبَغَ النَّعْما وكانت محقا ورَتَّقَ الدنيا وكانت فتقَا

وجدناها في العقد الفريد (النُّعْمَى)([107]) وبها يستقيم المعنى والوزن دون حاجة للضرورة.

كما أننا لم نجد خللاً عروضيًا فيها، وما ظننا أنه كذلك في البداية اكتشفنا بعده أنه خلل في الطباعة أو وضع الحركات ليس إلا، وذلك من خلال المتابعة ومقارنة الأبيات التي توجد في كتاب (شعر ابن عبد ربه الأندلسي) مع الطبعات والتحقيقات الأخرى للديوان أو مع الأرجوزة في كتاب العقد الفريد، مثل الأبيات: (98 مكتوب (إذع صار) والصحيح (إذ صار) ، والبيت 248 المكتوب خطأً 95 وردت كلمة (منتلو) فاختل الوزن والصحيح (مَنْتَلونَ)، كذلك البيت 270 مكتوب (غزاة الإمام) والصحيح في العقد (غزا الإمام)، وكذلك في البيت 357 وردت كلمة (بُشْتَرَا) والصحيح (بِبُشْتَرَا)، وفي البيت 420 مكتوب(ملوندَهْ) والصحيح (ملوندَةَ))، وبهذا فإنّ عدم وجود خلل عروضي أو استخدام لضرورات شعرية أو عيوب في القافية في أبيات الأرجوزة الـ 445 يؤكد تمكنه من فن العروض وفذلكته فيه، وكل ذلك الإبداع الإيقاعي للأرجوزة هيأها لتكون أنشودة صامدة عبر الأجيال، مخلدة لمآثر ممدوح ابن عبد ربه، وكيف لا تكون أرجوزته بهذا الضبط الإيقاعي وهو العالم بالإيقاع وصنعته الشعرية، إذ لديه أرجوزة عروضية طويلة.

نتائج البحث وتوصياته:

كثيرًا ما رفعت شأنَ الشعراء بضعةُ أبيات من دواوينهم انتشرت واشتهرت وخلّدت ذكرهم، ومنهم ابن عبد ربه نفسه الذي قال فيه المتنبي: يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبوا([108])، وقد وجدنا أيضًا ما يستحق الذكر في أرجوزته التاريخية موضوع الدراسة، حيث وجدنا من خلال هذا البحث أنها:

1- تعد من أوائل الأراجيز التاريخية في الأدب العربي وأنها لم تحظَ بالدراسة الأدبية سابقًا.

([106]) شعر ابن عبد ربه الأندلسي، 337، وينظر: هامش 2 من الصفحة ذاتها.

([107]) ينظر: ج5/ 219.

([108]) مطمح الأنفس ومسرح التأنس: الفتح بن خاقان (ت529هـ)، تح: محمد علي شوابكة ، 273.

2-إنّ الأندلسيين هم أول من نظم الأراجيز التاريخية العربية وأنهم سبقوا المشارقة فيها.

3- تُنسب لابن عبد ربه الأندلسي صاحب العقد أراجيز اتضح أنها ليست له وإنما لأشخاص عرفوا بالاسم ذاته.

4-تميز البناء الفني للأرجوزة هذه من بدايتها إلى نهايتها بحسن المونتاج أو التوليف لترابط أحداثها وتنامي كل حدث وربطه بالآخر بشكل منسجم ومخطط له.

5-أسلوب الأرجوزة من نوع السرد الموضوعي لأحداث الغزوات التي لم يشارك بها كمقاتل يؤكد على قدرة الشاعر الخيالية.

6-لغة الأرجوزة بسيطة محلية لتضمنها أسماء القوّاد وأماكن الغزوات وأنواع السلاح وأدوات الربط المساعدة لربط الأحداث وغيرها.

7-الصور الشعرية التي تضمنتها الأرجوزة لا يخلو الكثير منها من جمال فني ينم عن ذائقة شعرية أدبية خيالية وعجائبية أحياناً.

8- إيقاع الأرجوزة الخارجي والداخلي فيه من الفن والملاءمة للمعاني، وخلو من الخلل العروضي ما يتلاءم مع ما عرف عن ولع ابن عبد ربه بالعروض ورهافة ذائقته الموسيقية التي تؤكدها أرجوزته العروضية التي نوصي بدراستها وإزالة الغبار، وقد بدأنا بالخطوة الأولى لدراسة جانب منها فعسى الله أن يوفقنا أو يوفق غيرنا إلى المزيد من الدراسات عنها، كما نوصي بالوقوف عند دراسات موازنة أو مقارنة للأراجيز التاريخية.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

الكتب:

- ابن عبد ربه وعقده: د. جبرائيل جبور، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1979م.
- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: د. أحمد هيكل، دار المعارف بمصر، ط7، 1979م.
- الأراجيز التاريخية الأندلسية- دراسة وتقييم-: د. خالد عبد الكريم البكر، كتاب المجلة العربية 280، الرياض، (د.ط)،1441هـ.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1984م.
- البديع والتوازي: د. عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ط1، 1419هـ -1996م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي) : أبو جعفر

أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت 599هـ – 1203م), تحقيق :د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت،ط1، 1426هـ–2005م.

- بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر: مرشد الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1994م.
- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.
- تاريخ الفكر الأندلسي: آنخل جنثالث بالنثيا، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. مصر، ط1،
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: الحُميدي أبو عبد الله محمد بن أي نصر الأزدي(ت488هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2008م.
- شعر ابن عبد ربه الأندلسي: أحمد بن محمد، صنعة: د. محمد أديب عبد الواحد جمران، مكتبة العبيكان، الرياض– السعودية، ط1، 1421هـ–2000م.
- الشعر في قرطبة: د. محمد سعيد محمد، المجمع الثقافي، الإمارات – أبو ظبي، 2003م.
- الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت276هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1423هـ.
- الصورة الشعرية: سي – دي لويس، ترجمة: احمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسليمان حسن إبراهيم، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط3، 1992م .
- ظهر الإسلام: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (د.ط)، 2018.
- العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، (د.ط)،2007مـ– 1428هـ.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (456هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ– 1981م.
- عيار الشعر: ابن طباطبا (ت322هـ)، تح: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)..
- فن التقطيع الشعري والقافية: صفاء خلوصي، دار الكتب، بيروت، ط3، 1966م.
- قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية عصر الطوائف: د. أشرف محمود نجاة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003م.

- لسان العرب: ابن منظور(ت711هـ): تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط3/ 1999.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مِلَح اهل الأندلس: الفتح بن خاقان (ت529هـ)، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، ط1، 1983م.
- المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م .
- معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
- معجم المصطلحات السينمائية: ماري تيريز، إدارة ميشيل ماري، ترجمة فائز بشور، (د.مط)، (د.ط)، (د.ت).
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة – كامل المهندس , مكتبة لبنان , بيروت , ط2 , 1984م.
- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي– دراسة موضوعية فنية: د. هدى شوكت بهنام، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق – بغداد، ط1، 2000م.
- ملامح الشعر الأندلسي: د. عمر الدقاق، دار الشرق، بيروت، (د.ط)، 1975م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني(ت384هـ)، وقف على طبعة واستخرج فهارسه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط2، 1385هـ.
- المونتاج الشعري في القصيدة العربية المعاصرة: أ.د. حمد محمد الدوخي، دار سطور، بغداد– العراق، ط2، 2017.
- النص الذي نحيا به–قضايا ونماذج في تماسك النص ووحدة بنائه: أ.د. عبد الرحمن بودرع، دار كنوز المعرفة، عمّان–الأردن، ط1، 2019م– 1440هـ.
- النقد التطبيقي والتحليلي: د. عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.
- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: روز غريب، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، 1952م
- نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت337هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- يحيى بن حكم الغزال أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري: محمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1979م.

الرسائل الجامعية:

- الإقناع في شعر ابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ): إسراء جمال خليل إسماعيل، رسالة

ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل، بإشراف: أ.م.د. غيداء أحمد سعدون، 2020م.

- مقدمة المدحة الأندلسية بين ابن دراج القسطلي وابن حمديس الصقلي – دراسة موازنة: غيداء أحمد سعدون، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، بإشراف: أ.م.د. نزهة جعفر حسن، 1419هـ – 1999م.

الدوريات:

– ابن عبد ربه الأندلسي في الميزان: أ.د. عبد الرحمن مطلك الجبوري، مجلة الأستاذ، ع202، لسنة 1433هـ–2013م.

–(الغزال): الكاتب محمد خليفة التونسي، مجلة العربي، الكويت، ع212، رجب 1396هـ–يوليو 1976م.

–ما وراء اللغة: د. يحيى عبد الرؤوف جبر، مجلة الدارة، السعودية، ع1، السنة السادسة، 1400هـ–1980م

– المجاعات والأوبئة بالأندلس وأثرها في ضوء المصادر العربية بالفترة من 138هـ/756م–422هـ/1031م: د. شيماء عبد الحميد البنا، حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، مج33، ع4، أكتوبر 2020.

– مقدمة القصيدة والمصطلحات المقاربة لها دراسة مفهوماتية نقدية أ.م.د. غيداء أحمد سعدون، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية بجامعة الموصل، عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي الثالث (تكامل العلوم نحو تحقيق أهداف التعليم)، مج5، نيسان 2019م.

الشبكة المعلوماتية (الانترنيت):

– الشعر الأندلسي وفنونه: د. عبد الرحمن الحجي، في اليوتيوب.

– فلسفة أرسطو: كريستفور شيلدز، ترجمة: علي الحارس، عن النت موقع: أرسطو موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة علي الحارس.

References

- The Holy Quran

-Gabor, G. (1979). *Ibn Abd-Rabbo and his contract* (2nd ed.). New Horizons Press. Beirut.

-Hekal, A. (1979). *Andalusian literature from the conquest to the fall Khilafa* (7th ed.). Al-Maarif press. Egypt.

-Al-Baker, Kh. A. (2020). *Historical Andalusian Arajeez*. Arab Journal Book. Riyadh.

-Naje, M. A. (1984). *Psychological foundations of Arabic Rhetoric Styles* (1st ed.). University Foundation for Studies, Publishing and Distribution. Beirut.

-Hasan. A. (1996). *Badie and parallelism* (1st ed.). Al-Ishaa Technical Library and Press. Egypt.

- Al-Dahbi. A. Y. (2005). *A view to the petitioner in the history of the Andalusians* (An appendix to Jathwa Al-Muqtabas for Al-Hamidi) (1st ed.). Modern Library. Sidon. Beirut.

-Al-Zubaidi, M. (1994). *The Artistic Structure of the Poem in Ancient and Contemporary Arab Criticism*. General Cultural Affairs press. Baghdad.

-Al-Jahiz, O. B. (2002). *Statement and Clarification*. Al-Hilal Library press. Beirut.

-Balantha, A. J. (N.D). *History of Andalusian Thought* (1st ed.). Al-Nahda Al-Masrya Library. Cairo. Egypt.

-Al-Azdi M. A. (2008). *The Ember of the quoted in mentioning of Andalusian governors*. Egyptian General Book Authority. Cairo.

- Muhammad, A. (2000). *Poetry of Ibn Abd Rabbo Al-Andalusi* (1st ed.). Obeikan Library. Riyadh. Saudi Arabia.

- Muhammad, M. S. (2003). *Poetry in Cordoba*. Cultural Convention. Dhabi. Emirates.

-Al-Dinuri, A. M. (2002). *Poetry and poet* (2nd ed.). Al-Hadith press. Cairo.

-Lewis, C. D. (1982). *The Poetic Image*. Al-Rasheed Publishing. Baghdad.

-Asfor, J. (1992). *The Artistic Image in the Critical and Rhetorical Heritage of Arabs* (3rd ed.). Arab Cultural Center. Beirut and Casablanca.

-Ameen, A. (2018). *Anthology of Islam*. Hindawi Foundation for Education and Culture. Egypt.

-Al-Andalusi, A. M. (2007). *The Unique Arch*. Al-Asriyyah Library. Sidon. Beirut.

-Al-Azdi, H. R. (1981). *Al-Omdah in the Beauty and Ethics of Poetry* (5th ed). Al-Jil Press. Beirut.

- Tabateba, M. Z. (N.D). *Standard of Poetry*. Al-Maarif press. Alexandria. Egypt.

-Khulusi, S. (1966). *The Art of Poetry and Rhyme* (3rd ed.). Al-Kutub. Beirut.

- Najat, A. M. (2003). *Poem of praise in Andalusia, its substantive and artistic issues in the age of sects* (1st ed.). Al-Wafaa for Printing and Publishing. Alexandria.

-Manzoor, A. (1999). *Al-Arab Speech* (3rd ed.). Ihya Al-Turath Al-Arabi press. Beirut.

-Khaqan, F. (1983). *The aspiration of the spirits and the theater of incarnation in the salt of the people of Andalusia* (1st ed.). Beirut.

- Abdel Nour, J. (1979). *Literary Lexicon* (1st ed.). Al-Ilm for Millions press. Beirut.

-Al-Hamawi, Sh. Y. (1995). *The Dictionary of Countries* (2nd ed.). Al-Sader press. Beirut.

-Terez. M. (2007). *Dictionary of Cinematic Terms*. The General Film Corporation, Damascus.

-Wahba, M. (1984). *Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature* (2nd ed.). Library of Lebanon. Beirut.

- Banham, H. Sh. (2000). *Introduction to the Arabic Poem in Andalusian Poetry* (1st ed.). General Cultural Affairs press. Iraq.

- Al-Daqqaq, O. (1975). *Features of Andalusian poetry*. Al-Sharq press. Beirut.

-Al-Marzbani, M. O. (1965). *Al-Muwashah in the Scholars' Reactions to Poets* (2nd Ed.). Al-Salafi Press. Cairo.

- Al-Doukhi, H. M. (2017). *Poetic Montage in the Contemporary Arabic Poem* (2nd ed.) Al-Sotoor press. Baghdad. Iraq.

-Abdul Rahman, B. (2019). *The Text We Live By* (1st ed.). Treasures of Knowledge. Amman. Jordan.

-Abdullah, A. Kh. (1986). *Applied and analytical criticism* (1st ed.). Cultural Affairs press. Baghdad.

-Gharib, R. (1952). *Aesthetic Criticism and its Impact on Arab Criticism*. Al-Ilm for Millions press. Beirut.

- Al-Faraj, Q. J. (1952). *Criticism of poetry*. Scientific Books press. Beirut. Lebanon.

-Al-Bundaq, M. S. (1979). *Yahya bin Hakam al-Ghazal, Prince of the Poets of Andalusia in the Third Century AH* (1st ed.). Al-Afaq Al-Jadidah press. Beirut.

University theses

-Ismail, I. J. (2020). *Persuasion in the poetry of Ibn Abd Rabbo Al-Andalusi (d. 328 AH)*. Master's dissertation at university of Mosul. Iraq.

-Saadoun, G. A. (1999). *Introduction to the Andalusian Madhah between Ibn Daraj Al-Qastali and Ibn Hamdis Al-Saqli - A Balanced Study*. Master's dissertation at university of Mosul. Iraq.

Periodicals:

-Al-Jubouri, A. M. (2013). Ibn Abd Rabbo Al-Andalusi in Al-Mizan. *Al-Ustad*, 1(202).

-Al-Tunisi, M. Kh. (1976). Al-Ghazal. *Al-Arabi*, 212(1).

-Jabur, Y. A. (1980). Beyond Language. *Al-Dara*, 6(1).

-Al-Banna, SH. A. (2020). Famines and epidemics in Andalusia and their impact in the light of Arab sources in the period from 138 AH / 756 AD - 422 AH / 1031 AD. *Journal of Faculty of Arabic Language in Itay El-Baroud*. 33(4). 4651 – 4702.

- Saadoun, G. A. (2019). Introduction to the poem and its related terminology, a critical conceptual study. *College of Basic Education Research Journal*. A special issue of the research of the 3rd International Scientific Conference, Vol. 5.

Information Sources:

-Al-Haji, A. (N.D). *Andalusian poetry and its arts*. YouTube, Retrieved from: https://www.youtube.com/watch?v=K52Eg_XgI8M

- Shields, Ch. (N.D). *Aristotle's Philosophy*. Aristotle, Stanford Encyclopedia of Philosophy, translated by Ali Al-Hares. Retrieved from: https://www.youtube.com/watch?v=-NSnjcpkY3Y